

بعد أعوامٍ من الرحيل - مجلة البيان

د. عبدالرحمن صالح العشماوي : الكاتب

جاءت هذه القصيدة - كما ذكر الشاعر - وليدة ساعتها؛ إذ دعته رابطة الأدب الإسلامي العالمية (*) لحضور ملتقاها الشهري الأدبي المقام للشاعر أحمد البراء ابن عمر الأميري مساء الأربعاء ١٤٣٢/٤/٢٥ هـ، وجالت بشاعرنا عبد الرحمن العشماوي الذكرى، فقد كانت تربطه بشاعر الإنسانية المؤمنة عمر بهاء الدين الأميري علاقات حميمة، ورؤى وهموم مشتركة، وحب صادق، وتذكر أنه لم يرثيه، فكانت هذه القصيدة التي شدا بها أمام ابن الشاعر أحمد البراء، وأمام الحضور في الملتقى. المحرر محمد الحناحنة

مرّت بنا الأعوام يا عُمْرُ
لا أنت غِيبَتَ ولا جَفَا المَطَرُ
لكنَّ طولَ البُعدِ أرهقني
وأنا بيبابِ الشَّوقِ أَنتَظِرُ
وكذلك الأعوامُ يجعلها
مثلَ الجبالِ الشَّوقِ والسَّهَرُ
سافرت، لا بل سافرت لغتي
في حُزْنِها، وتطاوَلِ السَّفَرُ
منذ ارتحلتَ وعين قافيتي
تهمي، ودمع الصَّمْتِ يَنْهَمِرُ
منذ ارتحلتَ وليلُ حسرتنا
لا نجمُه غَنَّى ولا القَمَرُ
أبا البراء! السَّهْمُ أَثْبَتِي
لَمَّا أتى برحيلك الخَبْرُ
وبقيتُ مكتوفَ الحروف؛ فلا

لحنٌ يطاوعني ولا وترُ
حتى قوافي الشعر أثبتتها
مهم السكوتِ فتهاوتِ الصُّورُ
وتباعد الشعر المعبر عن
قلبي، فكاد القلب ينفطرُ
ومضى بي الصمتُ الطويل وفي
قلبي عليك من الأسي شررُ
لا القلبُ أفلتَ من توجُّعه
يوماً، ولا من سافروا حضروا
لولا شعاعُ ظلِّ، من أملي
في الله، عنه الليل ينحسرُ
لأنَّأقلتُ نفسي وأقعدني
عن همّتي الإعياء والضجرُ
أبا البراء! الأَرْضُ تحملها
في كفِّها الأحداثُ والغيرُ
لكأنني بالشام تسألني
وأنا بيُعدي عنك اعتذرُ
لو كنتَ تسمع ما أبوحُ به
لكشفتُ عمّا يصنع البشرُ
ورويتُ عن أحداثِ أمّتنا
ما فيه للإنسان مُدكرُ
كنا شريكي همّ أمّتنا
وشراكة الإحساس تُدخّرُ

تبقى القلوب على تواصلها
مهما يطول البُعدُ يا عُمَرُ!
هذا البراء أخي يذكّرني
بالجذع أحنى عُصْنَه الثَمْرُ
بيني وبينك منه رابطةٌ
بإخائنا في الله تَزْدَهْرُ
ومودّةٌ يُسقى الفؤاد بها
يجري لها ما بيننا نَهْرُ
ما زال حَبْلُ الوُدِّ مَتَّصلاً
ولنَبِضِ قَلْبِكَ عندنا أَثْرُ
ألوان طيفِكَ ما تزال على
ما يشتهي من حُسْنِهَا النَّظْرُ
وهنا «مع الله» الذي ابتسمتُ
لحروفه الأزهار والشجرُ
وبه تغنى الفجر مبهجاً
وبه تَأَلَّقَ وَجْهُه النَّضِيرُ
وهنا «النَّجَوى» عَطْرُهَا عَبِيقُ
فيها الحروف البيض والفكرُ
أبا البراءِ فراقنا قَدْرُ
أنى يُرَدُّ إذا أتى القَدْرُ؟
ما هذه الدنيا سوى عِبْرٍ
والحرُّ تُوقِظُ نَفْسَه العِبْرُ